المعجزات الحسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله عرض ونقد في ضوء المنظور القرآني

أ.م.د. علي سوادي ظاهر الجوهر جامعة الإمام الصادق/ كلية الآداب/ قسم علوم القرآن

ali.Swadi@sadiq.edu.iq

تاريخ الطلب: ١/ ١٠/ ٢٠٢٣

تاريخ القبول: ٥/ ١١/ ٢٠٢٣

ملخص البحث

يُعدُّ النص القرآني مصدراً ومرجعاً مهماً في تناول الثقافة الإسلامية التي يرتادها الناس فكراً وسلوكاً، لذا كان اختيار مبحث المعجزات الحسية للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) عرضاً ونقداً في ضوء المنظور القرآني، للنظر في المكنون القرآني لمسألة قد يتناولها البعض بالتسليم المطلق وكأنهم عرابو الحقيقة وحدهم دون غيرهم، وقد يختلف النظر القرآني عن غيره من المعارف الأخرى.

كثرت المعجزات الحسية لغير النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، بيد أنه لم يذكر للنبي من معجزات غير القرآن الكريم إلا بتأويل قد لا يساعد عليه السياق القرآني في سرده وتناوله للموضوع.

تكمن مشكلة البحث في أن كثيراً من المعجزات الحسية المنسوبة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) لا تكون موثقة في المنظور القرآني.

إن هدف البحث هو الاعتماد على المنهج القرآني في معرفة ما يمكن أن نؤيده وبين ما هو مرفوض، فكان الاسراء والمعراج من الموضوعات التي يجب التمييز بينهما ومعرفة ما هو منصوص عليه في القرآن وبين من لا وجود له فيه.

يعتمد البحث على المنهج التحليلي مع تتبع النصوص القرآنية للكشف عن المراد عما موجود فيه للخروج بنتيجة واضحة مؤكدة.

ولتظهر بعض النتائج التي منها عدم وجود نص صريح عن المعراج، الأمر الذي يعطي المُسَّوغ لإمكان انكاره وعدم قبول أصل فكرة المعراج بخلاف ما معلوم بالذات من القرآن الكريم من قبيل الحديث عن الإسراء.

الكلمات المفتاحية: النص القرآني، الإسراء، المعراج، المسجد الحرام، المسجد الأقصى.

Abstract:

The Qur'anic text is an important source and reference in dealing with the Islamic culture that people frequent, intellectually and behaviorally, so the choice of the study of sensory miracles of the Prophet Muhammad (peace and blessings of God be upon him) was a presentation and criticism in the light of the Qur'anic perspective, to consider the Qur'anic essence of an issue that some may address with absolute submission as if they were the godfathers of truth alone and not others, and the Qur'anic view may differ from other knowledge.

There were many sensory miracles for non-Prophet Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him), but he did not mention to the Prophet miracles other than the Holy Qur'an except by interpretation

The problem with the research is that many of the sensory miracles attributed to the Prophet Muhammad (peace and blessings of Allah be upon him) are not documented in the Qur'anic perspective.

The goal of the research is to rely on the Qur'anic approach to know what we can support and what is rejected, so Isra and Mi'raj were topics that must be distinguished between them and know what is stipulated in the Qur'an and those who do not exist in it.

The research relies on the analytical approach with tracking the Qur'anic texts to reveal what is meant by what is in it to come up with a clear and certain result.

Some results appear, including the absence of an explicit text on Mi'raj, which gives justification for the possibility of denying it and not accepting the origin of the idea of Mi'raj, contrary to what is known in particular from the Holy Qur'an, such as talking about Isra'a.

Keywords: Quranic text, Isra, Mi'raj, Grand Mosque, Al-Aqsa Mosque

مقدمة

دعوة القرآن إلى التدبر والتأمل تحث على إعادة النظر في كثير من الموروثات التي تسالم عليها السلف بيد أنها قابلة لإعادة الفكر والنظر حولها.

فلا غرو أن الأخبار في مسألة المعجزات الحسية للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) قد كثرت في الدراسات المعاصرة وعند رجوعنا للنصوص القرآنية نجد خلاف ذلك.

كان من المفترض الرجوع أولاً للقرآن لنكتشف الرأي السديد والصائب، وعند ذلك نتلمس ما يؤيد الفكرة القرآنية من غيره من المصادر الموثوقة.

هناك اتجاهان في موضوع المعجزات الحسية، اتجاه ينكر وجود أي معجزة غير القرآن للنبي محمد (صلى الله عليه وآله)، واتجاه يؤيد.

ومن الموضوعات المطروحة للبحث قضية الإسراء والمعراج فإذا رجعنا للقرآن ونصوصه نجده يطرح مسألة الإسراء بكل وضوح حتى سمي سورة بهذا الاسم، وأما مسألة المعراج التي هي الصعود إلى السماء ومن المفترض أنها تمثل معجزة، لم يكن لها ذكر صريح في النصوص القرآنية وليس هناك سورة باسم المعراج.

إن الاختلاف طال قضية الإسراء في المكان والزمان إلى أكثر من قول في تأريخ الإسراء وهل كان بالروح أم بالروح والجسد ؟ وهل كان رؤيا منامية أم حسية؟ وهل كانت رؤيا صادقة أم لا؟ ثم هل كان الإسراء للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) أم لموسى عليه السلام؟ وهل المسجد الأقصى بالقدس أم لا؟ وهل بعثوا الأنبياء بأرواحهم أم بأجسادهم ليصلوا في المسجد الأقصى، وهل كانت الصلاة مشرعة أم لا؟.

فبعد أن تغلغلت الأفكار الدخيلة وأصبحت هي السلعة الرائجة كان من الراجح أن يعاد النظر في كل ذلك الموروث الدخيل ورسم المبادئ الأسس المبنية على القرآن الكريم فكان هذا البحث نقطة في هذا الموضوع الكبير.

المبحث الأول: مفهوم المعجزات الحسية وغير الحسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله

المطلب الأول: مفهوم المعجزات الحسية وغير الحسية

معنى المعجزة في اللغة: يذهب الفراهيدي إلى أن معنى عجز: (أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، والعجز نقيض الحزم، وعجز يعجز عجزاً فهو عاجز ضعيف.. والعجوز: المرأة الشيخة .. وعاجز فلان: حين ذهب فلم يقدر عليه)[1]، فالعجز هو عدم القدرة والضعف وأن تجعل مقابلك ضعيفاً على مجاراتك ومؤخرة الشيء وفواته وعدم ادراكه، ومثله عن الجوهري: (العجز: مؤخر الشيء يؤنث ويذكر .. والعجز: الضعف، نقول: عجزت عن كذا .. وعجزت المرأة .. أي صارت عجوزاً .. وأعجزت الرجل: وجدته عاجزاً، وأعجزه الشيء: أي فاته)[2]، وهو كما ترى لا يعطي معنى غير ما قاله الفراهيدي في العجز والضعف وعدم القدرة والفوت.

وأما معنى المعجزة في الاصطلاح: فهو لا يخرج عن معناه اللغوي، فقد عُرِفت: (المعجز هو الذي يأتي به مدعي النبوة بعناية الله الخاصة خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم، ليكون بذلك دليلاً على صدق النبي وحجته في دعواه النبوة ودعوته)[3]، إن إضافة قيد (عناية الله تعالى) يعد أمراً مهماً في التعريف التي قد خلت منه كثير من التعريفات، كما أن إضافة قيد (خارق للعادة) مقابل من يقول أنه (خارق للقوانين) فالمعجزة خارقة للعادة وليس للقوانين، وفي حدود القدرة البشرية، فهذه القيود تعطي للتعريف الميزة القبول والتميز ولذا كان اختيارنا له دون غيره من التعريفات.

ويمكن تعريف الحسية: بأنها تلك (الأمور المحسوسة الماثلة لحواس الانسان من لمس ورؤية وشم وغير ذلك)[4]، وبذلك تكون المعجزات الحسية: هي المعجزات التي يمكن تحسسها بحواس الإنسان والإشارة إليها بكونها ماثلة أمام تلك الحواس، وفي مقابل الحسية هناك أمور غير حسية لا يمكن تلمسها بالحواس لدى الإنسان بوصفها غير مادية.

المطلب الثاني

هل للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) معجزات أخرى غير القرآن؟

وفي معرض الجواب يمكن القول: هناك اتجاهان في ذلك

الاتجاه الأول:

الذي ينكر وجود أي معجزات للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) غير القرآن الكريم، ويستدل بالقرآن الكريم والعلم والعقل وآراء العلماء.

١. القرآن الكريم

نص القرآن الكريم على إن المشركين طلبوا من النبي محمد (صلى الله عليه وآله) معجزات لأجل تصديقه في دعوته وقبول قرآنه، فينزل ما يقرر طلبهم والرد عليهم، قال تعالى: **سمح** "وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا" ٩٣**سجى**[5]، طلبات مادية حسية متعددة على نحو التخيير من قبيل تفجير الأرض، أو تسقط السماء، أو تأتي بالملائكة، أو يكون لك بيت من زخرف، أو ترقى في السماء لتنزل كتاباً، فكان الرد السماوي حاسماً لهذه الطلبات: (قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا) ليس هذا الرد إلا دليل على رفض ما طلبوه، وأنه بشراً رسولاً ليس بيده الإتيان بأي معجزة مما طلبوه.

وإذا قيل: هل المراد أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله بمعجزات حسية من ذاته أو أن يدع الله تعالى أن ينزل على يديه تلك المعجزات؟ كان الجواب: (أَنْ يُقَالَ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُرَادُكُمْ مِنْ هَذَا الِاقْتِرَاحِ أَنَّكُمْ طَلَبْتُمُ الْإِتْيَانَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِي بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَوْ طَلَبْتُمْ مِنِّي أَنْ أَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِظْهَارَهَا عَلَى يَدَيَّ لِتَدُلَّ عَلَى كَوْنِي رَسُولًا حَقًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَالْأَوَّلُ بَاطِلٌ لِأَنِّي بَشَرٌ وَالْبَشَرُ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَالثَّانِي أَيْضًا بَاطِلٌ لِأَنِّي قد أتيتكم بِمُعْجِزَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الْقُرْآنُ)[6]، فلا معجزة غير القرآن الكريم، وهذا استدلال قرآني على نفي أي معجزة مادية حسية على نحو القطع، لأن من صفات البشرية عدم قدرتهم على الإتيان بمعاجز خارقة للطبيعة، والرسولية قد جاءت بمعجزة عقلية وهي القرآن العظيم فلا مجال للماديات.

وأيضاً قوله تعالى: **سمح** "وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١١٠ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ" ١١١**سجى**[7]، إن نتيجة طلباتهم يقرره ذيل الآية بقوله تعالى: **سمح** "مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ"**سجى**.

(فإنهم حلفوا أيماناً مؤكّدة بالله: لئن جاءتهم آية، أي معجزة مادّية محسوسة، وخارقة للعادة من الآيات الكونية التي يقترحونها، ليصدقن بها أنها من عند الله، وأنك رسول الله، غير أنهم قوم معاندون، فإذا جاءتهم الآيات أو المعجزات لم يؤمنوا بشيء منها وردّ الله عليهم)[8]، بأنهم ما كانوا ليؤمنوا حتى لو أنزلنا عليهم كل آية، إذ طلبهم ما هو إلا عناداً وجحوداً.

ومنه قوله تعالى: **سمح** "وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ" ٥١**سجى**[9]، وقد وضح ابن عاشور جحودهم وطلباتهم من معجزات مادية (طَلَبُهُمْ أَنْ يَأْتِيَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِآيَاتٍ مَرْئِيَّةٍ خَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا تَصْدِيقًا لِلرَّسُولِ كَمَا خَلَقَ نَاقَةَ صَالِحٍ وَعَصَا مُوسَى، وَهَذَا مِنْ جَلَافَتِهِمْ أَنْ لَا يَتَأَثَّرُوا إِلَّا لِلْأُمُورِ الْمُشَاهَدَةِ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَنْتَصِبُ لِلْمُعَانَدَةِ مَعَهُمْ فَهُمْ يَقْتَرِحُونَ عَلَيْهِ مَا يَرْغَبُونَهُ)[10]، فلا ايمان ولا اعتقاد ولا تصديق وانما عناداً وضلالاً، فنزول آيات الكتاب كافية لو أرادوا الهداية.

فتحصل إن طلبات المشركين من النبي محمد صلى الله عليه وآله في نزول المعجزات الحسية قوبلت بالرفض من الله سبحانه ومن النبي محمد صلى الله عليه وآله، ويبتني عليه أنه لا معجزات للنبي صلى الله عليه وآله غير القرآن الكريم.

٢. الأدلة العلمية

وإذا قيل: هناك بعض الآيات القرآنية قد يستدل بها على المعجزات الحسية للنبي محمد (صلى الله عليه وآله)، من قبيل قوله تعالى: **سمح** "ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢"**سجى**[11]، وانشقاق القمر بمعنى انفلق، (وكان ذلك فيما ذُكر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، قبل هجرته إلى المدينة، وذلك أن كفار أهل مكة سألوه آية، فأراهم صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر، آية حجة على صدق قوله، وحقيقة نبوّته فلما أراهم أعرضوا وكذبوا، وقالوا: هذا سحر مستمرّ، سحرنا محمد، فقال الله جلّ ثناؤه **سمح** "وَإِن يَرَوۡاْ

ءَايَةٌ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢"**سجى** .. وورد عن قتادة " أن أنس بن مالك حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر مرّتين")[12].

فيجاب عنها بدليل علمي مستنبط من القرآن الكريم وبعدة احتمالات ممكنة من الناحية العلمية، مع ذكر ما يؤيد ذلك.

فتارة يراد من انشقاق القمر حدوث خسف في القمر وهذا أمر طبيعي يحدث في كل زمان ومكان، ولهذا الاحتمال أشار ابن عاشور إذ قال: (فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ خَسْفٌ عَظِيمٌ فِي كُرَةِ الْقَمَرِ أَحْدَثَ فِي وَجْهِهِ هُوَّةً لَاحَتْ لِلنَّاظِرِينَ فِي صُورَةِ شَقِّهِ إِلَى نِصْفَيْنِ بَيْنَهُمَا سَوَادٌ حَتَّى يُخَيَّلَ أَنَّهُ مُنْشَقٌّ إِلَى قَمَرَيْنِ)[13]، وتارة أخرى قد يراد من انشقاق القمر خسوفه الجزئي وهو مرور كوكب من الكواكب يحجب ضوء الشمس عن وصولها إلى القمر الذي يسمى بالخسوف الجزئي إذ (يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَصَلَ فِي الْأُفُقِ بَيْنَ سَمْتِ الْقَمَرِ وَسَمْتِ الشَّمْسِ مُرُورُ جِسْمٍ سَمَاوِيٍّ مِنْ نَحْوِ بَعْضِ الْمِذْنَبَاتِ حَجَبَ ضَوْءَ الشَّمْسِ عَنْ وَجْهِ الْقَمَرِ بِمِقْدَارِ ظِلِّ ذَلِكَ الْجِسْمِ عَلَى نَحْوِ مَا يُسَمَّى بِالْخُسُوفِ الْجُزْئِيِّ)[14]، وَيُؤَيِّدُه ما ورد عنِ ابنِ عبّاسٍ قال: "كُسِفَ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: سُحِرَ الْقَمَرُ، فَنَزَلَتْ"[15]**سمح** ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢**سجى** [16]"، وإذا كان هذا هو المقصود بخسوف القمر، فإنه ظاهرة طبيعية علمية تحدث له.

٣. الأدلة العقلية

من الناحية العقلية يمكن القول: إن وجود معجزات أخرى للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) غير القرآن الكريم قياساً على ما جاء في القرآن الكريم من معجزات متعددة للأنبياء السابقين، اعتقاداً منهم أن وجود معجزات مادية من كمال ولوازم الرسالة وكلما زادت تلك المعجزات أدت إلى الإسراع في الإيمان والتصديق بدعوته.

إن هذا الإعتقاد لا يصمد أمام الحقيقة والواقع، إذ الفارق بين رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وبين غيره فارق واضح أولاً: إن النبي محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء ولا نبي بعده، وأنه ثانياً: مبعوث للناس كافة، الأمر الذي يقضي أن تكون رسالته ومعجزته دائمية ولا دائمية غير العقلية ولا عقلية غير القرآن الكريم، وليست حسية أو مادية، فلو كانت معجزته مادية لآمن به من نزل عليهم في وقته وزمانه فحسب، وما كان للناس كافة، فلم ترد معجزة يراد منها إيمان الناس كافة إلا القرآن الكريم الذي تحدى به الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً،

وقد يكون وجود معجزات حسية قياساً على تعريف المعجزة، فنقول: المعجزة دائماً ما تكون مقرونة بالتحدي، ولم يقع التحدي الدائم والمستمر إلا بالقرآن، الذي شمل مثله وعشر سور وسورة واحدة.

وإذا قيل إن وجود المعجزات الحسية يؤدي إلى إيمان القوم، فقد يتبادر إلى الذهن أن وجود المعجزات الحسية تؤدي إلى إيمان الأمم إيماناً كاملاً، إذ انهم يرون المعجزات في حواسهم وأمامهم فلا يستطيعوا انكارها، إذ إن خلو النبوة من المعجزات الحسية قد تؤدي إلى القدح بنبوته صلى الله عليه وآله، بيد أن الواقع الخارجي والعملي يكشف خلاف ذلك الفهم، إذ وجود المعجزات بهذه الشاكلة ليس دليلاً على إيمان القوم إيماناً كاملاً بل كثيراً ما كانوا يكذبون أنبياءهم ويتهمونهم بالسحر.

ونقول: عدم وجود معجزات حسية للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) لا يقدح بنبوته ولا بفضله وهذا ما يكشفه النص القرآني في قوله تعالى: **سمح** "وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا" ٥٩**سجى** [17]، وهنا يوضح النص سبب عدم نزول الآيات الحسية على النبي محمد صلى الله عليه وآله وهو أنها جاءت إلى السابقين فلم يؤمنوا بها وكذبوها، بل لو رأوا آية من آيات الله الحسية لقالوا سحر، قال تعالى: **سمح** وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢**سجى** [18]، وعليه فلا ملازمة بين المعجزات الحسية وإيمان القوم، ولما كانت معجزة النبي محمد صلى الله عليه وآله هي القرآن الكريم فقد كان معجزة في معانيه وبلاغته وأسلوبه المحكم والرصين وعجزوا عن الإتيان بمثله أو بعشر سور بل وبسورة، غير أنهم يقولون عنه كما في قوله تعالى عنهم: **سمح**"وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا"٥**سجى** [19]، ولذا كان وجود المعجزات الحسية وغير الحسية لا يمنع المعاند والجاحد من الإنكار والجحود.

ففيما يتعلق بالأنبياء السابقين ومعجزاتهم الحسية الخارقة لما ألفوه القوم، إذ موسى عليه السلام كان يلقى العصا فتصير ثعباناً، ويدخل اليد في الجيب تخرج بيضاء من غير سوء ، فلم يؤمنوا به إلا السحرة، وأرسل الله تعالى له معجزات أخرى كالطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، وعارضوه واتهموه بالسحر فقالوا له: يا أيها الساحر ادع لنا ربك يكشف عنا العذاب كما في قوله تعالى: **سمح** "وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ٤٩ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ٥٠"**سجى** [20]، اسموه بالساحر، ومع كشف العذاب لم يهتدوا؛ بل نكثوا العهد والوعد.

ومن معجزات النبي عيسى عليه السلام أنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، إن هذه المعجزات لم تكن في يوم من الأيام تؤدي إلى إيمان الأمم الإيمان الكامل، بل كانوا يتهمون أنبياءهم بالسحر والجنون والكذب، فلم يؤمنوا بنبوته إلا الحواريون .

وقيل من معجزاته صلى الله عليه وآله، فبعد أن حدثهم برحلته في اسرائه (وارتد ناس ممن كان قد آمن به)[21]، ولم يصدقوه وبعد أن وصف لهم رحلته (لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين)[22]، فحين حدثهم عن بعض المعاجز التي حدثت له كذبوه ولم يصدقوه ففي قوله تعالى: (عن سعيد بن جبير **سمح**" وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ" **سجى** [23]، ورد عن سعيد بن جبير قال: (كان ذلك ليلة أُسري به إلى بيت المقدس، فرأى ما رأى فكذّبه المشركون حين أخبرهم)[24]. لم يقتصر الأمر على تكذيب النبي صلى الله عليه وآله من قبل المشركين؛ بل وصل الأمر إلى ارتداد بعضهم عن الإسلام.

فعن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله: **سمح** وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ **سجى** (قال: أُسري به عشاء إلى بيت المقدس، فصلى فيه، وأراه الله ما أراه من الآيات، ثم أصبح بمكة، فأخبرهم أنه أُسري به إلى بيت المقدس، فقالوا له: يا محمد ما شأنك، أمسيت فيه، ثم أصبحت فينا تخبرنا أنك أتيت بيت المقدس، فعجبوا من ذلك حتى ارتدّ بعضهم عن الإسلام)[25]، مما يفضي إلى أن المعجزات المادية لم تكن في يوم من الأيام هي المصدر الكامل والأساس في إيمان القوم والتصديق بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله.

٤. أقوال العلماء

إذا أردنا أن نطالع آراء العلماء في مسألة المعجزات الحسية وجوداً أو عدماً، فنجد من أنكر وجود أي معجزة للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) غير القرآن الكريم، وفيما يأتي نستعرض بعض الشواهد:

١.قال المراغي في تقديمه لكتاب حياة محمد لهيكل: (ولم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلّم القاهرة إلا في القرآن، وهي معجزة عقلية)[26]، فلا معجزة للنبي (صلى الله عليه وآله) غير المعجزة العقلية لدوامها وحجيتها على الجميع.

٢.وقد جاء في مجلة المنار رأي العالم محمد رشيد رضا : (أن القرآن وحده هو حجة الله القطعية على ثبوت نبوة محمد "صلى الله عليه وسلم" بالذات، ونبوة غيره من الأنبياء وآياتهم بشهادته لا يمكن في عصرنا إثبات آية إلا بها، وأن الخوارق الكونية شبهة عند علائه لا حجة؛ لأنها موجودة في زماننا ككل زمان مضى، وأن المفتونين بها هم الخرافيون من جميع الملل)[27]، إذ القرآن الكريم هو الحجة القاطعة على صدق وثبوت نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وارتباطه بالوحي، وقد شهد على صدق نبوته من كان قبله من الأنبياء السابقين عنه والبشارة به.

٣.وقال محمد عبده: (فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدانيته لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي، والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه الفطري (وهو ما نسميه بالنظام الطبيعي) فلا يدهشك بخارق للعادة، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة إلهية، وقد اتفق المسلمون – إلا قليلاً ممن لا يعتد برأيه فيهم – على أن الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات، وأنه لا يمكن الايمان بالرسل إلا بعد الايمان بالله، فلا يصح أن يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله الله إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز أن ينزل كتاباً ويرسل رسولاً)[28]، بالدليل العقلي وحده يمكن أن نثبت الإيمان بالله تعالى، ولا إيمان دون الدليل العقلي ولذا جاء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالدليل العقلي ليثبت صدق دعوته بعد صدق الإيمان بالله تعالى.

٤. ومما يحتج به الإسلام بخارق العادة، وما أدراك ما هو خارق العادة الذي يعتمد عليه الإسلام في دعوته إلى التصديق برسالة النبي عليه السلام؟ هذا الخارق للعادة هو الذي تواتر خبره، ولم ينقطع أثره، هذا هو الدليل وحده، وما عداه مما ورد في الأخبار سواء صح سندها أو اشتهر أو ضعف أو وهى، فليس مما يوجب القطع عند المسلمين، فإذا أورد في مقام الاستدلال فهو على سبيل تقوية العقد لمن حصل أصله، وفضل من التأكيد لمن سلمه من أهله، ذلك الخارق المتواتر المعول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين هو القرآن وحده)[29].

فلا تحصيل لليقين بلا دليل عقلي قطعي دائم وهو القرآن الكريم، وما عداه من الأدلة الحسية والمعاجز المادية فلا يتحصل الأثر المطلوب منها؛ بل يمكن اعتمادها كمؤيد وداعم ومساند للفكرة، لذا أعرضنا عن مناقشتها لأنها تذهب بهدف البحث بعيداً ولا تلبي ما نصبو إليه .

والاتجاه الثاني:

ونجد هذا الاتجاه يؤمن بوجود المعجزات الحسية للنبي محمد صلى الله عليه وآله، فيرى أن للنبي صلى الله عليه وآله معجزات حسية كثيرة تكشف عنها الروايات الحديثية، والبعض الآخر يحاول أن يستخرج من النصوص القرآنية بعض المعجزات الحسية.

قد يستفاد البعض من بعض الآيات المباركة وجود معجزات حسية من قبيل الإخبار بالمغيبات كقوله تعالى: سمح "غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ "٣سجى[30]، وقوله تعالى: سمح سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥سجى[31]، وغيرها من الآيات التي تخبر عن المستقبل، أو التي تخبر عن الماضي، بيد أن هذه الآيات لم تكن من المعجزات التي تقع على يد النبي محمد صلى الله عليه وآله؛ بل كانت إخبار من الله عز وجل عن حدوث هكذا معاجز تأييداً

لرسوله، وإنا نقول: إن المعجزة وإن كانت من الله تعالى إلا أنها تجري على يديه عليه السلام وليس إخبار بهذا المعنى، ولذا قيل: إن بعض المعجزات الحسية وردت في القرآن الكريم كمعجزة الإسراء والمعراج، بيد أن معجزة الإسراء وردت صريحة فيه، وأما معجزة المعراج فقد أثبتتها الأحاديث، وهذا ما سنتناوله بالمبحث التالي

المبحث الثاني: المعجزات الحسية في القرآن الكريم

المطلب الأول: الإسراء

لعل مضمار الحديث عن الإسراء القرآني في قوله تعالى: **سمح** "سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ" ١**سجى** [32].

١. معنى الآية:

سمح سُبۡحَٰنَ **سجى** بمعنى أسبح الله سبحان، أي أسبح الله تسبيحاً، ومعنى التسبيح التنزيه، لذا كان(التَّسْبِيحُ: تنزيه الله تعالى، وأصله: المرّ السّريع في عبادة الله تعالى، وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الإبعاد في الشّرّ، فقيل: أبعده الله، وجعل التَّسْبِيحُ عامّا في العبادات قولاً كان، أو فعلاً، أو نيّةً، قال **سمح** فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣**سجى** [33]، قيل: من المصلّين، والأولى أن يحمل على ثلاثتها)[34]، (سبحان الله: تنزيه لله عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به، ونصبه في موضع فعل على معنى: تسبيحاً لله، تريد: سبحت تسبيحاً لله [أي: نزهته تنزيها])[35].

(السرى: سير الليل، وكل شيء طرق ليلاً فهو سار)[36]، فالإسراء هو المشي أو السير ليلاً، ((سرا) قوله تعالى: **سمح** فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ **سجى** [37] ،أي سر بهم ليلاً، يقال: سرى بهم ليلاً وأسرى ... المعنى على ما قيل: أنه أسرى به في ليلة من جملة الليالي من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة، وقد عرج إلى السماء من بيت المقدس في تلك الليلة وبلغ البيت المعمور وبلغ سدرة المنتهى وقيل: الإسراء إلى السماوات في المنام لا بجسده، والحق الأول كما عليه الجمهور، وأحاديث البراق مشهورة)[38]، فالإسراء من السير ليلاً أمر طبيعي ليس فيه اعجاز، وكذلك الإسراء إلى السماوات في المنام أيضاً أمر طبيعي لا يقتضي أي اعجاز، إلا أن الإعجاز يكمن في العروج إلى السماء من بيت المقدس إلى البيت المعمور وسدرة المنتهى إن صح ووجد هكذا عروج في النص القرآني على ما سيتضح.

(الذي أسرى): الإسراء يكون بالليل، ثم قال: (ليلاً): ذكر ليلاً منكراً لأنه أسري به في بعض الليل وليس كله، فقوله: **سمح** سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا **سجى**[39] ،أي ببعض الليل مثل قوله

تعالى: سمح فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ٢٣سجى[40] ،أي جزء الليل للتنكير، وأما إذا عرفت كما في قوله تعالى: سمح يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠سجى[41] ،فإنه يشمل الليل كله، سمح وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا ٩٦سجى[42] ،لكي يُرِيَهُ النور في ظلمات الليل.

سمح بِعَبۡدِهِۦ سجى محمد صلى الله عليه وآله، (أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)[43]، وكلمة بعبده تطلق على الروح والجسد كما سيأتي

سمح مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ سجى مبدأ الإسراء سمح إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا سجى نهاية الإسراء[44]، وكما ترى ليس للعروج ذكر في النص.

ويمكن اثارة إشكال حول المسجد الأقصى، إذا كان المراد منه هو المسجد الأقصى الذي بالقدس فقد يثار اشكال إذ أن المسجد الأقصى بالقدس لم يكن موجوداً في زمن النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، إنما تم بناء المسجد الأقصى وقبة الصخرة في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي سنة (٧٢ هـ) فلم يكن موجوداً في عصر النبي محمد صلى الله عليه وآله، فقد كان مكانه هيكل سليمان إذ هدمه القائد الروماني (تيطس) سنة (٧٠م) أي قبل النبي بأكثر من ٥٥٠ سنة[45] .

أو إذا قلنا أنه كان موجوداً فنقول أن كلمة الأقصى قد تعني الأبعد أو الغاية البعيدة، فالمقصود بالمسجد الأقصى في الآية المباركة هو اقصى مسجد أي ابعد مسجد يعبد فيه الله تعالى.

ثم كيف نزل النبي وصلى بالأنبياء إماماً وهو لم تنزل عليه الصلاة واحكامها بعد، إذ يقولون إن الصلاة شرعت وفرضت في المعراج المتأخر عن الإسراء، فيكشف عن أن فرض وتشريع الصلاة لا علاقة له بالمعراج، إذ إن أول آيات نزلت على قلب النبي صلى الله عليه وآله، تذكر الصلاة، قال تعالى: سمح أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠سجى[46] ، وكيف قابل الأنبياء عليهم السلام فهل بعثوا بأرواحهم أم بالروح والجسد، وهل غاية الإسراء الصلاة بهم ثم العروج؟

٢. تأريخ الإسراء:

اختلف المؤرخون والمحدثون في تأريخ الإسراء، فقيل: إنه كان قبل موت أبي طالب، وقيل: إنه كان بعد موت أبي طالب في السنة الثانية عشرة من مبعثه، وقيل: إنه كان ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في السنة الثالثة عشرة من نبوته، (وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ اللَّيْلِ قَالَ مُقَاتِلٌ: كَانَ ذَلِكَ اللَّيْلُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِسَنَةٍ)[47]، وقيل: إنه ليلة ٢٧ من رجب، وقيل: ليلة ١٧ من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة[48]، وقيل: (كان قبل الهجرة بسنة، وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث)[49]، والذي

يظهر أنه لا يوجد تأريخ ثابت لتحديد وقت الإسراء، بيد أنه لا يمنع من ثباته بعد أن ذكره النص القرآني.

٣. سبب النزول:

قيل: (نزلت الآية في إسرائه، وكان ذلك بمكة، صلى المغرب في المسجد الحرام، ثم أسري به في ليلته، ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام، فأما الموضع الذي أسري إليه أين كان: فإن الإسراء إلى بيت المقدس، وقد نطق به القرآن، ولا يدفعه مسلم، وما قاله بعضهم: إن ذلك كان في النوم، فظاهر البطلان، إذ لا معجز يكون فيه، ولا برهان)[50]، ولا يخفى أن سبب النزول ظاهر من خلال النص القرآني والسورة التي سميت به، ومثله مكان الانطلاق ومكان الوصول.

٤. الإسراء في اليقظة أم في المنام؟ وبالروح أم بالروح والجسد؟

(اختلف في أنه كان في اليقظة أم في المنام فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه، وعن معاوية: إنما عرج بروحه وعن الحسن، كان في المنام رؤيا رآها وأكثر الأقاويل بخلاف ذلك)[51]، إذا كان في المنام فهو أمر طبيعي ولا ميزة فيه ولا إعجاز، الأمر الذي يوجب أن يكون في اليقظة وليس في المنام، ثم بناءً على رواية عائشة من أن جسد النبي صلى الله عليه وآله لم يفارقها في تلك الليلة تكشف عن كون الإسراء بالروح وليس بالروح والجسد، وللطعن في صحة الرواية مجال كبير، إذ كما سيأتي أن عائشة لم تكن قد تزوجت بالنبي صلى الله عليه وآله في تلك الفترة ولم تكن في بيته، ويرده أيضاً أنه صلى الله عليه وآله كان في بيت أم هاني في تلك الليلة ("قال محمد بن إسحاق: وكان فيما بلغني عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها، واسمها هند، في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنها كانت تقول: ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي، نام عندي تلك الليلة في بيتي، فصلى العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانئ، لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين")[52]، ولذا اختلف في أن الإسراء هل كان بالروح أم بالروح والجسد على قولين:

القول الأول: بالروح والجسد

قيل كان الإسراء بالروح والجسد بحجة أن ذلك أمر لا ينكره العقل ولا يخرج عن حدود الإمكان، فهو (ممكن عقلاً، قال تعالى: **سمح** أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ **سجى** ولم يقل بروح عبده، وكلمة عبده تطلق على مجموع الروح والبدن)[53]، كما قال تعالى: **سمح** أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ **سجى**[54]، فالعبد الذي يصلي مكون من الروح والجسد، وليس الروح فقط.

وقد ربط الرازي بين صعود الأجساد الثقيلة ونزول الخفيفة، فإذا امتنع صعود الأجساد الثقيلة لزم لذلك امتناع نزول الخفيفة (وَلَوْ حَكَمْنَا بِهَذَا الِامْتِنَاعِ كَانَ ذَلِكَ طَعْنًا فِي نُبُوَّةِ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)[55]، وذلك لنزول الوحي عليهم.

بيد أن الربط بين صعود الأجساد الثقيلة ونزول جبريل ربط غريب وليس في محله من الرازي، إذ لا ربط بينهما، فالأجساد الثقيلة تختلف عن الملائكة وعن جبريل بالخصوص.

ولأن كلمة عبده التي وردت في آية الإسراء تعني بظاهرها الإنسان بروحه وجسده، كما أن الإسراء بالروح فقط هو حالة طبيعية في حالة النوم فليس هناك ما يدعو إلى الدهشة والاستغراب والاعجاز، أي أنه (لو كان الإسراء بالروح فقط لما كان فيه أي شيء من العجب، ولم يبادر المشركون في تكذيبه ... وصارح قومه بما رأى فدهشوا وأنكروا، ولو كان مناماً لما دهشوا وأنكروا)[56].

القول الثاني: بالروح فقط

قالت عائشة: (ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الله أسرى بروحه)[57]، في حين أكثر الروايات تنص على أن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) كان ليلة الإسراء في بيت أم هاني، وإن عائشة كانت صغيرة ولم تنتقل إلى بيته صلى الله عليه وآله قبل السنة الثانية من هجرته، لأنها لم تكن قبل ذاك بلغت تسعاً من عمرها حتى يستدل على أن الإسراء كان بالروح لا بالجسد (بما روي عن عائشة إن جسد النبي لم يفارقها تلك الليلة .. مع العلم بأن عائشة كانت صغيرة حين الإسراء، ولم تكن زوجة لرسول الله صلى الله عليه وآله .. فالرواية تكذب نفسها بنفسها)[58]، فالرواية لا صحة لها.

٥. وهل كانت رؤيا صادقة؟

قيل: إنها رؤيا صادقة ودليلهم قوله تعالى: **سمح**" وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ "٦٠ **سجى**[59].

وفي معرض الجواب نقول: إن الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وآله في هذا النص لا صلة لها بالمقام، بل رأى إن بني أمية ينزون على منبره كالقردة فانتبه متألماً فأنزل الله تعالى عليه **سمح** وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا **سجى**، ومع ذلك فقد كانت الرؤيا صادقة (قال ابن إسحاق: "أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة")[60].

ثم إن كلمة الرؤيا كما تستعمل في الرؤيا في النوم تستعمل في الرؤيا الحسية ولعل هذا المعنى أظهر منها.

والخلاصة أنه بعد أن نص القرآن الكريم على الإسراء فالبحث في كيفيته وامكانيته أوعدمه لا مبرر له، إذ أنه أمر منصوص في سورة تحمل الاسم نفسه، بيد أن الشي الذي يجب معرفته من خلال النص في قوله تعالى: **سمح** لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ **سجى** إن الرؤية كانت للنبي صلى الله عليه وآله، وليس لعامة الناس، وهنا اختل شرط التحدي في المعجزة، إذ من شروط المعجزة التحدي أمام الناس، والإسراء كان خاص للنبي صلى الله عليه وآله (لنريه) أي له خاصة، ولذا أمكن القول: إن الإسراء ليس بمعجزة يتحدى بها وإن كانت معجزة في حد ذاتها بيد أنها خاصة بالنبي صلى الله عليه وآله وليس لعامة الناس ولا للتحدي.

٦. الإسراء لمحمد صلى الله عليه وآله، أم لموسى عليه السلام؟

قد يقال: إن الظاهر من السياق القرآني أن الكلام حول موسى عليه السلام، إذ آية الإسراء التي بدأت بقوله تعالى: **سمح** "سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ "١**سجى** [61]، جاء بعدها الآية التي تتحدث عن موسى عليه السلام، كما في قوله تعالى: **سمح** "وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ٢ ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا" ٣**سجى** [62]، فالسياق القرآني يقتضي أن يكون لفظ (عبده) الذي أسري به، هو موسى عليه السلام، بدلالة قوله تعالى : **سمح** وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ **سجى** .

وفي معرض الإجابة عن الإشكال نقول: إن القرآن الكريم له خصائص ومميزات واهداف تقضي التنقلات المتعددة، ولذا جاءت الآية الأولى تتحدث عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ثم انتقلت إلى الحديث عن النبي موسى عليه السلام، ثم انتقل الحديث حول النبي نوح عليه السلام وهكذا، ويضاف إلى ذلك أن النص القرآني ذكر المسجد في قوله (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى)،

الأمر الذي يقضي أن يكون النص يشير إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله، بينما النصوص التي تشير إلى النبي موسى عليه السلام لم تذكر فيه أي مسجد.

ولذا لم تكن الواو، في قوله: سمح وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ سجى متعلقة بما قبلها، بل كانت استئنافية، ومورد مستقل إلا أنه لا يمنع من الهدفية في الموارد جميعاً، ومن ثمة فلو كان الكلام في الآية الأولى راجع إلى موسى عليه السلام، لتقضى أن يُعرّف في الآية الأولى بإسمه، ويمكن ابهامه في الآية الثانية، أما أن يبهم في الآية الأولى ويعرف في الآية الثانية ويرجع إليه فهذا لا يليق بالبلاغة القرآنية.

المطلب الثاني: المعراج

١. معنى العروج

(العُرُوجُ: ذهابٌ في صعود، قال تعالى: سمح تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ سجى[63]سمح فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ سجى[64]، والمَعَارِجُ: المصاعد، قال: سمح ذِي ٱلۡمَعَارِجِ سجى [65]، وليلة المِعْرَاجُ سمّيت لصعود الدّعاء فيها إشارة إلى قوله: سمح إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ سجى[66]، وعَرَجَ عُرُوجاً وعَرَجَاناً: مشى مشي العَارِجِ، أي: الذاهب في صعود، كما يقال: درج: إذا مشى مشي الصاعد في درجه)[67]، فالمعراج هو الصعود ويشمل الصعود المادي والمعنوي.

ومثله ("عرج يعرج عروجاً، " أي: صعد، والمعرج: المصعد، والمعرج: الطريق الذي تصعد فيه الملائكة والمعراج شبه سلم أو درجة تعرج الأرواح فيه إذا قبضت، يقال: ليس شيء أحسن منه، إذا رآه الروح لم يتمالك أن يخرج، ولو جمع على المعاريج لكان صواباً، والمعارج في قول الله عز وجل: سمح مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ سجى ، جماعة المعرج ... وانعرج الطريق والبئر والوادي إذا مال، ومنعرجه حيث يميل يمنة ويسرة ... وانعرج القوم عن الطريق، أي: مالوا عنه، وعرجنا النهر، أي: أملناه يمنة ويسرة)[68]، فالعروج هو الميل والصعود.

٢. آيات العروج:

قال تعالى: سمح "وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ" ١٤سجى [69]، وقوله: سمح وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم سجى ، الضمير في عَلَيْهِمْ عائد على قريش وكفرة العصر المحتوم عليهم، والضمير في قوله: سمح فَظَلُّواْ سجى يحتمل أن يعود عليهم- وهو أبلغ في إصرارهم- ... و سمح يَعۡرُجُونَ سجى معناه: يصعدون ... و سمح ٱلۡمَعَارِجِ سجى الأدراج، ومنه: المعراج ... ويحتمل أن يعود على الملائكة لقولهم: سمح لَّوۡمَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ سجى[70]، فقال الله تعالى: «ولو رأوا الملائكة يصعدون ويتصرفون في باب مفتوح في السماء، لما آمنوا»: وهذا تأويل ابن عباس)[71] .

وقوله تعالى: سمح "يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ" ٥سجى[72].

إن قَوْلهُ تَعَالَى: سمح ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ سجى مَعْنَاهُ: (أَنَّ أَمْرَهُ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى عِبَادِهِ وَتَعْرُجُ إِلَيْهِ أَعْمَالُهُمُ الصَّالِحَةُ الصَّادِرَةُ عَلَى مُوَافَقَةِ ذَلِكَ الْأَمْرِ، فَإِنَّ الْعَمَلَ أَثَرُ الْأَمْرِ)[73].

وقوله تعالى: سمح" يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ٢"سجى [74] .

قال: سمح وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ سجى (وَلَمْ يَقُلْ: يَعْرُجُ إِلَيْهَا إِشَارَةً إِلَى قَبُولِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَمَرْتَبَةِ النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ وَهَذَا لِأَنَّ كَلِمَةَ إِلَى لِلْغَايَةِ، فَلَوْ قَالَ وَمَا يعرج إليها لفهم الوقوف عند السموات فَقَالَ: وَما يَعْرُجُ فِيها لِيُفْهَمَ نُفُوذُهَا فِيهَا وَصُعُودُهَا مِنْهَا وَلِهَذَا قَالَ فِي الْكَلِمِ الطَّيِّبِ: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُنْتَهَى وَلَا مَرْتَبَةَ فَوْقَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَأَمَّا السَّمَاءُ فَهِيَ دُنْيَا وَفَوْقَهَا الْمُنْتَهَى)[75] .

وقوله تعالى: سمح وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩سجى [76]، (فإذا كان في آخر منازله دق واستقوس، وعادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ وهو عود العذق، ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة، وقال الزجاج: هو «فعلون» من الانعراج وهو الانعطاف)[77].

سمح "هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ" ٤سجى [78]، (وَما يَعْرُجُ الأعمال صالحها وسيئها والملائكة وغير ذلك)[79]وهو كما تقدم في سورة سبأ وهو كمال العلم عند الله سبحانه.

سمح مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤سجى [80]، سورة باسم المعارج لم تتحدث عن عروج النبي محمد صلى الله عليه وآله؛ بل تشير إلى عروج الملائكة، بينما توجد سورة باسم الإسراء لثبوته من دون المعراج سمح ذِي ٱلۡمَعَارِجِ سجى أي (ذي المصاعد جمع معرج، ثم وصف المصاعد وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال: سمح تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ سجى إلى عرشه وحيث تهبط منه أوامره)[81]

وبذلك يتبين أن لا عروج إلا للملائكة والروح والأوامر الإلهية ولحركة القمر، ولم تشر النصوص القرآنية إلى صعود النبي محمد صلى الله عليه وآله، ففي النص الأول يشير إلى تعجيز الكفار ومشركي مكة، أو قد يكون للملائكة، وفي النص الثاني يشير للوحي، ثم الملائكة، أو لحركة الأجرام في السماء وهكذا بقية النصوص، فلم تتحدث النصوص عن عروج الإنسان أبداً.

فليست هناك آية صريحة في المعراج بالمعنى المراد، فلا وجود له في القرآن الكريم ولا صعود وعروج للنبي محمد صلى الله عليه وآله، ولا أي إنسان آخر، فهو لم يصعد ويعرج للسماء قرآنياً، نعم وردت كلمة المعراج أو مشتقاتها فيما يخص الملائكة والأمر الإلهي، والقرآن الكريم استعمل المعراج للصعود في السماء وليس بما يخص النبي صلى الله عليه وآله أو غيره من البشر.

٣. أدلة المعراج القرآنية:

اعتمد القوم على أدلة قرآنية لإثبات حادثة المعراج

قال تعالى: **سمح** "وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ" ١٨ **سجى** [82].

إن المفسرين استندوا على المعراج في سورة النجم من بعض صفاته وكلماته من قبيل: **سمح** "ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ **سجى** **سمح** وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ" **سجى** ، و **سمح** "سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ" **سجى** و **سمح** "جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ" **سجى** ولذا قال: الزمخشري: (نزل عليه جبريل "عليه السلام" نزلة أخرى في صورة نفسه، فرآه عليها، وذلك ليلة المعراج قيل في سدرة المنتهى: هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش: ثمرها كقلال هجر، وورقها كآذان الفيول، تنبع من أصلها الأنهار التي ذكرها الله في كتابه، يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها)[83]، وقوله: (والمنتهى: بمعنى موضع الانتهاء، أو الانتهاء، كأنها في منتهى الجنة وآخرها، وقيل: لم يجاوزها أحد، وإليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم، ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل: تنتهي إليها أرواح الشهداء جَنَّةُ الْمَأْوى الجنة التي يصير إليها المتقون")[84] .

وفي معرض الجواب نقول: إن هذه الآيات من سورة النجم ليست نصاً صريحاً وواضحاً للدلالة على معراج النبي محمد صلى الله عليه وآله، بل هن من المتشابهات التي تحتمل عدة تأويلات، كما سنبين ذلك، وليس من قبيل الإسراء الذي ورد ذكره في سورة سميت بالإسراء وتحدثت عن مبدأ ومنتهى له.

تشير النصوص القرآنية إلى وجود نزولين من قبل جبريل على النبي محمد صلى الله عليه وآله:

النزلة الأول:

قال تعالى: **سمح** "ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ" **سجى** ومعنى النص ("ثُمَّ دَنَا جِبْرِيلُ بَعْدَ اسْتِوَائِهِ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى مِنَ الْأَرْضِ، فَتَدَلَّى فَنَزَلَ إِلَى مُحَمَّدٍ "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، فَكَانَ

مِنْهُ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى)[85]، يشير النص إلى الدنو وليس إلى العروج والصعود، دنا جبريل من الأرض ليوحي إلى الرسول صلى الله عليه وآله، فكان عليه السلام في الأرض وليس في السماء، وهذه هي النزلة الأولى، فقد كان فيها جبريل عليه السلام بالأفق الأعلى ونزل إلى محمد صلى الله عليه وآله فأوحى إليه ما أوحى من القرآن الكريم.

وهذا ما تتحدث عنه الآيات الكريمة من بداية سورة النجم كما في قوله تعالى: **سمح**"وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ" ١٢ **سجى**.

النزلة الثانية:

أما النزلة الثانية فقد أشار إليها النص التالي بقوله: **سمح** وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ **سجى** (يَعْنِي رَأَى جِبْرِيلَ فِي صورته التي خلق عليه نَازِلًا مِنَ السَّمَاءِ نَزْلَةً أُخْرَى)[86]، فقد كان فيها جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى، التي فيها جنة المأوى ورآه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) من الأرض في صورة مقربه من قبل الخالق مع نزول جبريل، إذ الموجود عند السدرة هو جبريل (عليه السلام) وليس النبي محمد صلى الله عليه وآله، فالسدرة مكان أو شجرة وهي الشجرة المعروفة بالسدر، والمنتهى نهاية المكان الذي كان فيه جبريل، وجنة المأوى إشارة إلى البستان كما في كثير من النصوص القرآنية.

وهذا ما تشير إليه الآيات الآتية من سورة النجم في قوله تعالى: **سمح**" وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨**سجى** ، وعليه يمكن القول: إن النصين إشارة إلى لقاء النبي محمد صلى الله عليه وآله مع جبريل عليه السلام، أو قل هو بدايات إلقاء الوحي".

٤. اثارات حول المعراج:

١.اختلف المفسرون في ارجاع الضمير في قوله تعالى: **سمح** "وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ٨ فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ" ١٠ **سجى** هل هو النبي محمد صلى الله عليه وآله، أم جبريل عليه السلام؟

٢.فلا وجود للمعراج قرآنياً بصورة واضحة، وما ورد من مصطلح العروج إنما يخص عروج الملائكة، بينما الإسراء قد ذكر في سورة مع أن المعراج أعظم وأعجز.

٣.إن القرآن الكريم ينفي صعود النبي صلى الله عليه وآله الى السماء، في قوله تعالى: **سمح** "وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ" ٣٥**سجى**[87]، فلا وجود للمعراج قرآنياً.

فلن يستطيع بقدرته الذاتية، نعم بقدرة الله تعالى ممكنة بيد أنها لم تعط له صلى الله عليه وآله حسب ما يظهر من النصوص القرآنية، ("الْمَرْوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا: أَنَّ الْحَرْثَ بْنَ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ ائْتِنَا مِنْ عِنْدِ اللَّه كَمَا كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ تَفْعَلُ فَإِنَّا نُصَدِّقُ بِكَ فَأَبَى اللَّه أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِهَا فَأَعْرَضُوا عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ")[88].

٤.وفي قوله تعالى: **سمح** "سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا" **سجى** يكشف النص عن نقطة بداية الانطلاق ونهايته وغايته ولم يتحدث عن عروج وغيره، فلا أثر للعروج في هذا النص.

٥.إن كل من الإسراء والمعراج كانا في وقت واحد وفي ليلة واحدة، إلا أن سورة الإسراء جاءت قبل سورة النجم حسب ترتيب القرآن، غير أن ترتيب النزول بين لنا إن سورة النجم نزلت قبل سورة الإسراء فكيف تنزل سورة تذكر فيه المعراج وهو لم يحدث بعد؛ وقد زعموا ان المعراج كان في ليلة الاسراء، فكيف نجد النفي القاطع للمعراج في هذه السورة؟ فإذا كان نفي المعراج في القران لا يكفي، وفي نفس السورة التي يُفترض ان تؤكد المعراج، ثم على القول بحدوث المعراج مع الإسراء، ففي نفس سورة الإسراء وبعد أن كان الحديث عن الرحلة، كيف يأتي طلب المشركين أن يرقى إلى السماء، ويأتي الجواب بنفي الارتقاء، قال تعالى: **سمح** "وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا" ٩٣**سجى**[89]، فإذا كان قد عرج فعلاً إلى السماء لماذا لم يخبرهم بأنه في الليلة الماضية مثلاً قد عرجت، بينما كان الجواب: **سمح** "قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا "٩٣**سجى**.

٦.إذا كان الأمر الإلهي قد صدر في المعراج بخمسين صلاة، كيف كانوا يصلون قبل المعراج وكيف يؤدي المؤمن هذه الخمسين صلاة يومياً من عنده متطلبات الحياة الطبيعية من عمل وراحة ونوم وأكل وغيرهما، أليس قوله تعالى: **سمح** لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ **سجى**[90] ، وقوله

تعالى: **سمح لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سجى**[91] ، يقضي أن يكون التكليف مما يسع المكلف الإتيان به.

الخاتمة ونتائج البحث

بعد الرحلة الماتعة مع النصوص القرآنية وصلنا إلى ختام هذه الرحلة لنقطف ثمارها وأهمها:

١. أنه يوجد اتجاهان في قبول وانكار المعجزات الحسية للنبي محمد (صلى الله عليه وآله)، بيد أن الفارق في مستندهم ودليلهم في ذلك.

٢. إن النص القرآني يطرح مسألة الإسراء بوضوح ولا يمكن انكاره وسمي سورة باسم الإسراء نفسه، بيد أن النص أشار في الإسراء إلى خصوصية الرؤيا للنبي وليس لعامة الناس.

٣. أنه ليس هناك آيات صريحة وواضحة في معراج الرسول صلى الله عليه وآله، بل النص على نفى الصعود.

٤. إن النص القرآني أثبت العروج إلى الملائكة والروح بصورة عامة وللأوامر الإلهية ولحركة الأجرام السماوية، ولم يُحدث عن عروج الإنسان أبداً.

٥. إذا كان تشريع الصلاة حصل في المعراج فكيف كان المسلمون يصلون قبل المعراج، وكيف يتحمل الإنسان الصلاة خمسين ركعة، الأمر الذي يكشف عن تشريع الصلاة قبل المعراج على القول بثبوته.

٦. إن سورة النجم قد تشير إلى نزولين من قبل جبريل عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله إذ كان في الأرض وليس في السماء.

الهوامش

[1] . العين، الخليل الفراهيدي، (ت: ١٧٥) تح: مهدي المخزومي – إبراهيم السامرائي، ط: ٢، سنة الطبع: ١٤٠٩، الناشر: مؤسسة دار الهجرة – ايران – قم، ٢١٥/١.

[2] . "الصحاح، الجوهري، (ت: ٣٩٣)، تح: أحمد عبد الغفور العطار، ط: ٤، سنة الطبع: ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت – لبنان"، ٨٨٣/٣.

[3] . "آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي النجفي، (ت: ١٣٥٢)، سنة الطبع: ١٣٥٢ – ١٩٣٣ م، مطبعة العرفان – صيداء"، ٣/١.

[4] . معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله، ط: ١، "سنة الطبع" ١٤١٥ – ١٩٩٥ م، ٧١.

[5] . سورة الإسراء، الآيات: ٩٠– ٩٣.

[6] . "مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت"، ط٣، ١٤٢٠ هـ، ٤١٠/٢١.

[7] . سورة الأنعام، الآيات: ١٠٩-١١١.

[8] . "التفسير الوسيط للزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر، دمشق"، ط١، ١٤٢٢هـ، ٥٩٣/١.

[9] . سورة العنكبوت، الآيتان: ٥٠-٥١.

[10] . "التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي" (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس"، سنة النشر": ١٩٨٤هـ، ١٣/٢١.

[11] . سورة القمر، الآيتان: ١-٢.

[12] . جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) تح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، ٢٢/ ٥٦٥.

[13] . التحرير والتنوير، ١٧٠/٢٧.

[14] . م.ن، ١٧٠/٢٧.

[15] . تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ، ٤٣٨/٧.

[16] . سورة القمر، الآيتان: ١-٢.

[17] . سورة الإسراء، الآية: ٥٩.

[18] . سورة القمر، الآية: ٢.

[19] . سورة الفرقان، الآية: ٥.

[20] . سورة الزخرف، الآيتان: ٤٩-٥٠.

[21] . "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت"، ط: ٣، ١٤٠٧ هـ، ٦٤٧/٢.

[22] . الكشاف، ٦٤٧/٢.

[23] . سورة الإسراء، من الآية: ٦٠.

[24] . جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٤٨٠/١٧.

[25] . م.ن، ٤٨٠/١٧.

[26] . حياة محمد، محمد حسين هيكل، دار المعارف، ط٢٠، تعريف الكتاب بقلم محمد مصطفى المراغي، ص١١.

[27] . مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ) وغيره من كتاب المجلة، ٧٨٧/٣٤.

[28] . الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، ط٣، ١٩٨٨، ٦٥.

[29] . م.ن: ٦٦.

[30] . سورة الروم، الآيتان: ٢-٣.

[31] . سورة القمر، الآية: ٤٥.

[32] . سورة الإسراء، الآية: ١.

[33] . سورة الصافات، من الآية: ١٤٣.

[34] . مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، (ت: ٤٢٥)، تح: صفوان عدنان داوودي، ط: ٢، سنة الطبع: ١٤٢٧، "المطبعة: سليمانزاده"، الناشر: طليعة النور، ٣٩٢.

[35] . "العين، الخليل الفراهيدي"، ٣/ ١٥١.

[36] . م.ن، ٢٩١/٧.

[37] . سورة هود، من الآية: ٨١.

[38] . مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي، (ت: ١٠٨٥)، ط:٢، سنة الطبع: شهريور ماه ١٣٦٢ ش، المطبعة: چاپخانهء طراوت، الناشر: مرتضوي، ٢١٦/١

[39] . سورة الإسراء، من الآية: ١.

[40] . سورة الدخان، من الآية: ٢٣.

[41] . سورة الأنبياء، من الآية: ٢٠.

[42] . سورة الأنعام، من الآية: ٩٦.

[43] . "مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت"، ط: ٣، ١٤٢٠ هـ، ٢٩٢/٢٠.

[44] . انظر: التحرير والتنوير، بن عاشور، ١٥/١٥.

[45] . انظر: "البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي"، ط: ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ٣٠٨/٨، وانظر: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (ت: ٩٢٨هـ)، تح: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس – عمان، ٢٧٢/١.

[46] . سورة العلق، الآيتان: ٩-١٠.

[47] . مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩٢/٢٠.

[48] . انظر: الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، اصِر مَكارم الشِيرازي، ٣٨٩/٨.

[49] . الكشاف، ٦٤٧/٢.

[50] . "تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ت: ٥٤٨)، تح وتع: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، ط: ١، سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - لبنان"، ٢١٥/٦.

[51] . الكشاف، ٦٤٧/٢.

[52] . "السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، (ت: ٢١٨)، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد" سنة الطبع: ١٣٨٣ - ١٩٦٣ م، مصر، ٢٧٢/٢.

[53] . التفسير الكاشف، مغنية: ٨/٥.

[54] . سورة العلق، الآيتان: ٩-١٠.

[55] . مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٩٣/٢٠.

[56] . التفسير الكاشف، مغنية: ٨/٥.

[57] . السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ٢٧٠/٢.

[58] . التفسير الكاشف، ٩/٥.

[59] . سورة الإسراء، من الآية: ٦٠.

[60] . "السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ٢٧٠/٢.

[61] . سورة الإسراء، الآية: ١.

[62] . سورة الإسراء، الآيتان: ٢-٣.

[63] . سورة المعارج، من الآية: ٤.

[64] . سورة الحجر، من الآية: ١٤.

[65] . سورة المعارج. من الآية: ٣.

[66] . سورة فاطر، من الآية: ١٠.

[67] . مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، (ت: ٤٢٥)، تح: صفوان عدنان داوودي، ط: ٢، سنة الطبع: ١٤٢٧، المطبعة: سليمانزاده، الناشر: طليعة النور، ٥٥٧.

[68] . "العين، الخليل الفراهيدي"، ٣٢٢/١.

[69] . سورة الحجر، الآية: ١٤.

[70] . سورة الحجر، من الآية: ٧.

[71] . "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي" (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ، ٣/ ٣٥٣.

[72] . سورة السجدة، الآية: ٥.

[73] . مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ١٤٠/٢٥.

[74] . سورة سبأ، الآية: ٢.

[75] . مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ١٩١/٢٥.

[76] . سورة يس، الآية: ٣٩.

[77] . "الكشاف"، ١٧/٤.

[78] . سورة الحديد، الآية: ٤.

[79] . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢٥٧/٥.

[80] . سورة المعارج، الآيتان: ٣-٤.

[81] . الكشاف، ٦٠٩/٤.

[82] . سورة النجم، الآيات: ١-١٨.

[83] . "الكشاف"، ٤٢١/٤.

[84] . م.ن، ٤٢١/٤.

[85] . "معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي" (ت: ٥١٠هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط: ١، ١٤٢٠ هـ، ٣٠٢/٤.

[86] . معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، ٣٠٥/٤.

[87] . سورة الأنعام، الآية: ٣٥.

[88] . مفاتيح الغيب، الرازي، ٥٢٠/١٢.

[89] . سورة الإسراء، الآيات: ٩٠– ٩٣.

[90] . سورة البقرة، من الآية: ٢٨٦.

[91] . سورة الطلاق، من الآية: ٧.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم

١. "آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي النجفي"، (ت: ١٣٥٢)، سنة الطبع: ١٣٥٢ – ١٩٣٣م، مطبعة العرفان – صيداء.

٢. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، محمد عبده، ط٣، ١٩٨٨.

٣. الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل، ناصِر مَكارم الشِيرازي، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ط: ٢، ١٤٢٩ق، ايران– قم.

٤. الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (ت: ٩٢٨هـ)، تح: عدنان يونس نباتة، الناشر: مكتبة دنديس – عمان.

٥. "البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي" (ت: ٧٧٤هـ)، تح: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط: ١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٦. "التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي" (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.

٧. التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: ٤، حزيران، ١٩٩٠.

٨. "التفسير الوسيط للزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي"، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.

٩. "السيرة النبوية، ابن هشام الحميري"، (ت: ٢١٨)، تحقيق وضبط وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد، سنة الطبع: ١٣٨٣ – ١٩٦٣م، مصر.

١٠. "الصحاح، الجوهري"، (ت: ٣٩٣)، تح: أحمد عبد الغفور العطار، ط: ٤، سنة الطبع: ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت – لبنان.

١١. العين، الخليل الفراهيدي، (ت: ١٧٥) تح: مهدي المخزومي – إبراهيم السامرائي، ط: ٢، سنة الطبع: ١٤٠٩، الناشر: مؤسسة دار الهجرة – ايران – قم.

١٢. "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري" (ت: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: ٣، ١٤٠٧ هـ.

١٣. "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي" (ت: ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ.

١٤. "تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي" (ت: ٧٧٤هـ)، تح: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٤١٩هـ.

١٥. "تفسير مجمع البيان، الطبرسي، (ت: ٥٤٨)، تح وتع: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين"، ط: ١، سنة الطبع: ١٤١٥ – ١٩٩٥ م، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.

١٦. "جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي، أبو جعفر الطبري" (ت: ٣١٠هـ) تح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط:١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

١٧. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

١٨. حياة محمد، محمد حسين هيكل، دار المعارف، ط٢٠، التعريف بقلم محمد مصطفى المراغي.

١٩. مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا (ت: ١٣٥٤هـ) وغيره.

٢٠. "مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي"، (ت: ١٠٨٥)، ط:٢، سنة الطبع: شهريور ماه ١٣٦٢ ش، المطبعة: چاپخانهء طراوت، الناشر: مرتضوي.

٢١. "معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي" (ت: ٥١٠هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ١، ١٤٢٠ هـ.

٢٢. معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله، ط: ١، سنة الطبع: ١٤١٥ – ١٩٩٥م.

٢٣. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: ٣، ١٤٢٠ هـ.
٢٤. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، (ت: ٤٢٥)، تح: صفوان عدنان داوودي، ط: ٢، سنة الطبع: ١٤٢٧، المطبعة: سليمانزاده، الناشر: طليعة النور.